إلى المحتكرين

اصغ أيها المحتكر إلى نداء النّاس المتقطع، وإلى عويلهم المحزن، وانظر إلى جراح أحدثتها فيهم نصال الرزايا والاحتكار المعيب. سرْ بجوانب أكواخهم وبيوتهم، تسمع الأمهات يعللنَ أطفالهن تعليلاً، وينشدن لهم نغمات تنسيهم مضض الجوع ولو قليلاً، وتساعدهم على النوم ولو إلى حين؟ حدّق الى أولئك الأطفال وانصت الى أنّاتهم الخافتة الموجعة، ترَ انك حرمتهم النعمة، وسلبتهم لقمتهم وراحتهم، وجعلتهم هدفاً لسهام الموت المروع.. حدّق الى أمهاتهم البائسات تلمح الكآبة الخرساء مرتسمة على وجوههن الشاحبة المتظاهرة بالسكينة والاستسلام، ولا تنسَ أن تنقل بصرك إلى الآباء المساكين الذي يكدحون في سبيل القوت، والقوت بين أشداق ذئاب المجتمع الكاسرة.

أيها المحتكر ارفع رأسك إلى السماء، وتأمل نجومها اللامعة، فلسوف يأتي يوم تأفل فيه من عليائها.. تأمل الحياة التي انغمست في لذائذها، وسعيتَ لاحراز ذهبها وفضتها بشتى أساليب الغش والاحتيال واعلم أن الحياة التي صافحتك بيمينها، والتي صفت لك، ستنقلب عليك وستصفعك بتلك اليد، صفعة مؤلمة، فيها كل معاني الذل والاحتقار، وحينئذ يسخر منك أبناء المجتمع، ويشمتون بك، وسيتنزلون عليك لعنة الأرض والسماء، وحينئذ - وبعد فوات الأوان - تدرك أن من يحاول أن يريح الهناء بالمال والقوة والاحتيال، يجد صفقته ولا شكّ و/أو خاسرة، وأن هو تسلّم أعلى المراتب أو اغتصب أكبر نفوذ!

تدارك أمرك أيها المحتكر، واقلع عن نهمك وجشعك وفسادك، واشمل اخوانك بالرفق والحنان، ارحم الإنسانية في عزّك وجاهك، لترحمك يوم شقائك، ويرحمك التاريخ والله عزّ وعلا الذي هو إله العدل والمحبة بامتياز... ردَّ إلى ضميرك الحياة، يرجعْ إلى قلبك العطف والشعور، وتحرّر من عبودية الطمع، وبشّر برسالة الآخاء والرحمة، وقمْ الى العمل بضمير حيّ نزيه، واذكر دائماً ان الدهر يومان، يوم لك ويوم عليك.

ويا أيها الشرفاء العقلاء في وطننا الحبيب، اتحدوا لإنقاذه من براثن كل محتكر.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه